سلسلة دراسات في التفسير الموضوعي

مهارة الاعتراف

احذروا الجحود

في ضوء قوله تعالى: "ولاتنسوا الفضل بينكم"

جمع وتأليف

د. أحمد عمر النعمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، قال في محكم كتابه (ولا تنسوا الفضل بينكم) البقرة:٢٣٧ والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأوفياء،

أما بعد:

فليس موضوعنا عن مقام الإحسان الذي هو المرتبة الثالثة بعد الإسلام والإيمان والذي هو كما ذكر الأستاذ سعيد حوى:" إن الإحسان ذو جانبين، عمل الحسن أو الأحسن ثم الشعور أثناء العمل بأن الله يرانا أو كأننا نراه، وهذا هو تعريف الرسول ﷺ للإحسان بأن (تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فالإحسان مراقبة دائمة لله، وإحساس بقيمة العمل، وعلى هذا تندرج كل عبادة شرعية، أو سلوكية".

ولكن موضوعنا عن أداء واجب الوفاء لأهل الفضل الذي هو من أفضل القربات، وهو من أهم ما يجب على المسلم التخلق به، لتسود بين الناس علاقات الود والصفاء، والتعاون والإخاء، وبذلك، تتحقق معنى الخلافة التي أرادها الله لخلقه، عندما حملهم أمانة إعمار الكون.

آية واحدة فيها أجمل معاني الحياة قال تعالى: (وَلَا تَنسوُا الفضْلَ بينَكُم)، فكم من الآباء والأمهات بذلوا في سبيل إسعاد أولادهم، وكم ضحوا ليروا أبناءهم ناجحين، فهل يدرك الأبناء واجبهم تجاه الفضل والبذل الذي بذل تجاههم، وهل يكونون أوفياء وادون يؤدون ما عليهم من دين تجاه والديهم؟،

وكم من الأزواج بذلوا الغالي والرخيص تجاه زوجاتهم، فلما وقع الأزواج في ضيق وقلة ذات اليد تركن أزواجهم في أحلك الظروف وأشدها، فأين الوفاء والوفاء ديْن ودِين، ومن لا وفاء له لا تدين صحيح عنده.

وكم من الزوجات تحملن من المتاعب والمشاق وسوء أخلاق أزواجهم، فما بين عشية وضحاها، نسوا العشرة وتحمل الأيام الكالحة، وتركوا زوجاتهم يعانين التشتت والضياع مع أولادهن بسبب نسيان الجميل والفضل الكبير.

وكم من الأخوة عاشوا في بيت واحد، وتقاسموا الهموم والأحزان، وتربوا على مائدة واحدة بين الأبوين، فلما فرقت بهم الأيام والسنون، وكل واحد صار في حي مغاير، أو مدينة، دب فيه الحسد والبغضاء التي تحلق الدين، فوقع الخصام ودبت الفرقة بين الزوجات والأبناء، ونسي كل واحد الفضل والوداد والأيام السعيدة التي خلت لتحل المشاكل والنزعات ونسوا قول الله تعالى: (ولاتنسوا الفضل بينكم).

وهكذا أيضاً مع الأصحاب والأصدقاء والجيران والأقارب وأحباب الأمس، فقد انقلبت الموازين، وتغيرت النفوس، وحلت العداوة وكشر الكل على أنياب الغدر والإيذاء، وغاب صوت الحق والعدل والفضيلة، وبعدت القلوب والأسماع عن التدبر بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، والتخلق بالأخلاق الحسنة الكريمة، ونسي فعل المعروف وجميل الصنع، وربنا سبحانه وتعالى يقول: (ولاتنسوا الفضل بينكم)، إنه نداء رباني، وتوجيه قرآني، ينشد

ويوجه إلى العودة إلى جادة الحق والصواب، لينعم الفرد والمجتمع بالمحبة والود والصفاء، فينتج التعاون والتراحم والخير العميم.

وإنه لمن القبيح أن ينتظر المحسن من الناس جزاء أو شكراً، وأقبح منه اللئيم الكنود الذي لا يستشعر فضل المحسن إليه، ولا يقابله بالحسنى، وأشد قبحاً من قابل الإحسان بالإساءة والإكرام بالجحود.

وإن مكافأة المحسن خلق فطري ينشأ من خلق الوفاء، إذ أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمؤمن المستقيم لا يكون شاكراً لله حتى يكون معترفا بالفضل لأهل الفضل، وفي ذلك يقول ﷺ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[1]، وفي رواية أخرى: «إن أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس» [2].

وبهذا نرى أن أخلاق المؤمن لا تكتمل بحسن علاقته بربه فحسب وإنما لا بد أن يكون على نفس المستوى من الأخلاق في التعامل مع الناس.

وليس المؤمن بالجشع الذي لا يهزه إلا فيض الإكرام ومزيد الإنعام، بل إن نفحة من الإحسان كافية لأن تثير فيه دواعي الشكر والمكافأة، وقد وضح رسول الله ﷺ هذا المعنى بقوله: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير» [3]

---

[1] أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢١٨) وهو حديث صحيح.

[2] أخرجه أحمد برقم (٢١٨٤٦). وهو صحيح لغيره.

[3] أخرجه أحمد برقم (١٩٣٥٠). وهو صحيح لغيره.

والشكر اللساني أقل ما يقدمه المرء مكافأة لمن أحسن إليه ووفاء لمن وقف بجانبه، لكيلا يتعلم أبناء الأمة الكفران والجحود، ولئلا يتخلقوا بنكران الجميل ونسيان المعروف، وحتى لا تموت المروءة في الناس، ولذلك يقول ﷺ: «ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه» [٤] ولكي تبقى دافعية الإحسان قائمة بين الناس، فإن البشر يؤثر فيهم المكافأة على إحسانهم.

– ومن صور المكافأة المقابلة بالمثل، أو الدعاء لصاحب المعروف، أو الثناء على فعله: "ومن لم يجد فليثن؛ فإن من أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر" [٥]، ومقابلة إحسان الناس ببرود ولا مبالاة يقتل فيهم المبادرة للإحسان، ويضعف عندهم التفكير في الآخرين، ويقتل المروءة والنجدة والنخوة، ويفشي السلبية والأثرة؛ لأن من طبيعة الإنسان أن تقوى اندفاعته بالشكر، وإن كان الأصل فيه ألا يبتغي شكرا ولا جزاء.

– ولما ظن المهاجرون أن الأنصار ذهبوا بالأجر كله لما جادت به نفوسهم من الإنفاق على المهاجرين بين لهم رسول الله ﷺ باباً من الخير يقربهم من أجر الأنصار، عن أنس أن المهاجرين قالوا: «يا رسول الله، ذهبت الأنصار بالأجر كله، قال: لا، ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم» فعلمهم أن يكافئوا إحسان المحسن بالدعاء له، أو بالثناء عليه، وليس أمام فقير من وسيلة

---

[٤] أخرجه أحمد ٢/ ٦٨ حديث صحيح

[٥] أخرجه الترمذي برقم (١٦٥٦) وهو حديث حسن. وأبو داود برقم (٤٠٢٨.)

لمكافأة المحسن غير هاتين. وقد كان من خلق رسول الله ﷺ أنه «كان يقبل الهدية ويثيب عليها» [٦] وذلك ضمن الاستطاعة؛ فإذا غدا التهادي نوعاً من التكلف فقد خرجت هذه الأخلاق عن حد الحسن، وهذا من مفاسد التعاملات الاجتماعية

– وحين اقترض رسول الله ﷺ من عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي قبل حنين رد إليه القرض بعد الغزوة، وقال له: «بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد» [٧].

وكلمة شكر وعبارة حمد لا يخسر قائلها شيئاً، ولا تكلفه جهداً، ولكنها تعود عليه بكسب ود المحسن، وائتلاف قلبه، وتحريضه على مزيد من الخير.

– وإن سيدنا موسى عليه السلام حين سقى للمرأتين، ثم تولى إلى الظل لم يلبث كثيراً حتى لقي جزاء إحسانه من والد المرأتين، الذي أوتي الحكمة، ويدرك ضرورة مكافأة المحسن، فجاءت إحداهما تقول: (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) القصص: ٢٥.

– وإن عروة بن مسعود – رغم شركه – حين أغلظ له أبو بكر بكلمة قاسية في مفاوضات صلح الحديبية لم يزد في تعليقه على كلمة أبي بكر أكثر من قوله: «أما والله، لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن

---

[٦] أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٥).

[٧] أخرجه أحمد برقم (١٦٤١٠) بإسناد صحيح، وأبو داود في سننه برقم (٤٠٢٧).

هذه بها» [٨]واعتبر إساءة أبي بكر إليه مغفورة بسابق إحسانه عليه. ولعل هذه الاعتبارات تشيع وتحيا في معاملات المسلمين اليوم.

ولقد كانت المكافأة بالسوء مستنكرة حتى مع البهائم؛ إذ حينما فرت امرأة من المسلمين من العدو على ناقة مسلوبة كانت لرسول الله ﷺ نذرت إن وصلت إلى المدينة ناجية أن تنحرها، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال: «بئسما جزيتها» [٩]، ومنعت من نحرها لهذا المعنى ولعدم جواز نذرها بما لا تملك.

وللمحسنين الذين يلقون الإساءة بدل الإحسان عزاء في أن الله ناصر لهم كما جاء في قصة الصحابي الذي جاء يشكو إلى رسول الله ﷺ قائلاً: «إن لي ذوي أرحام، أصل ويقطعون، وأعفو ويظلمون، وأحسن ويسيئون، أف أكافئهم، أي بمثل إساءتهم" «قال: لا، إذا تتركون جميعا، ولكن خذ بالفضل وصلهم، فإنه لن يزال معك من الله ظهير ما كنت عليه» [١٠].

والكريم لا ينسى الفضل لأهله، ولا يجازي الإحسان بالإساءة، وقد كان من الأجدر بنا ونحن نتحدث عن أخلاق المؤمنين أن نتكلم عن العفو، ومقابلة الإساءة بالإحسان، فذلك هو المقام اللائق بالمؤمنين حقاً، وحينما استفسر صحابي رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله الرجل أمر به فلا

---

[٨]أخرجه البخاري برقم (٢٧٣١)..

[٩] أخرجه الدارمي برقم (٢٥٤٧) والطبراني في الكبير برقم (٤١٣) وإسناده صحيح.

[١٠] مسند أحمد برقم (٦٤٩٢) وهو حديث حسن.

يقريني ولا يضيفني ثم يمر بي ألية. يحيون المعروف بين الناس فلا يدعون محسناً إلا ويكافئونه، ولا يدعون مسيئا إلا ويقابلونه بالإحسان، ولا يمكن أن يكون المؤمن جحوداً للمعروف ولا كفوراً للعشير.

وهذا البحث يعالج ظاهرة نسيان الفضل بين الفرقاء والأرحام، ويناقش الأسباب ويضع الحلول، ويعالج الواقع المرير.

ويتألف البحث من تمهيد وفصلين ومباحث وفق الخطة الآتية:

الفصل الأول: تعاريف ومفاهيم، وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاعتراف بالفضل.

المبحث الثاني: تعريف نكران الجميل.

المبحث الثالث: نسيان مودة صاحب الفضل.

المبحث الرابع: الوالدان منبع الفضل والإحسان.

المبحث الخامس: الزوجة صاحبة فضل.

المبحث السادس: الزوج صاحب فضل.

المبحث السابع: الإخوة أصحاب فضل.

الفصل الثاني: وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف الفضل.

المبحث الثاني: فروقات في معنى الفضل.

المبحث الثالث: من معاني الفضل في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: مع الآية (ولاتنسوا الفضل بينكم).

المبحث خامس: أنواع الفضل في القرآن الكريم.

المبحث السادس: من أخلاق أهل الوفاء حسن العهد وكرم الود.

المبحث السابع: من أخلاق أهل الوفاء الشكر.

المبحث الثامن: حفظ الوداد.

الفصل الثالث: جحود المعروف وفيه مباحث:

المبحث الأول: نسيان المنعم.

المبحث الثاني: حكاية عن المنافقين في "إنكار النعم".

المبحث الثالث: الإخلاص في إسداء المعروف.

المبحث الرابع: صور من بلاغة القرآن "نكران جميل نعم الله تعالى"

المبحث الخامس: نكران الجميل بكفران العشير.

المبحث السادس: الآيات الواردة في «نكران الجميل».

المبحث السابع: الأحاديث الواردة في ذم (نكران الجميل).

المبحث الثامن: الاعتراف بفضل أهل العلم.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

الفهرسة.

بين يدي البحث

تمام الشكر لمن أحسن إليك هو الدعاء لهم بأن يجزيهم الله –عزّ وجلّ– أحسن ما يجزي به عباده الصالحين، مصداقًا لقول الرسول ﷺ"ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى يعلم أن قد كافأتموه"[١١]

والإسلام اعتبر الإيمان براً فقال تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين). البقرة:١٧٧

ومعلوم أن البر صفة للعمل الأخلاقي، أو هو جامع لأنواع الخير، كما يقول الإمام بدر الدين العيني في شرحه لحديث "من أتى إليكم معروفاً فكافئوه"[١٢]، وقد بين الرسول ﷺ أن من لم يتخلق بالأخلاق الحسنة لا يقبل الله منه الإيمان والدين، فقال: عن أنس قال: قلما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له " ".[١٣]

وأخلاقية الإيمان تتضح من ناحيتين: الأولى: باعتباره عملاً، ذلك أن الأعمال إما داخلية وإما ظاهرية، والإيمان من النوع الأول، ولهذا فقد نص

---

[١١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢١٦). والترمذي برقم (٢٠٣٥) وقال: حسن صحيح.

[١٢] أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢١٦) وهو حديث صحيح

[١٣] أخرجه أحمد برقم (١٢٣٨٤) قال محققه: حديث حسن. أنظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل١٩/٣٧٦، م

الرسول ﷺ نفسه على أن الإيمان عمل فقال عندما سأله رجل،" عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: "إيمان بالله، وجهاد في سبيله " قلت: يا رسول الله، فأي الرقاب أفضل؟ قال: "أنفَسها عند أهلها، وأغلاها ثمناً " قال: فإن لم أجد؟ قال: "تعين صانعاً، أو تصنع لأخرق " وقال: فإن لم أستطع؟ قال: "كف أذاك عن الناس، فإنها صدقة تصدق بها عن نفسك " [١٤]لأنه عمل إيجابي من أعمال القلب.

الناحية الثانية: أن الإيمان في حقيقته عمل القلب بالاعتراف بالحقيقة الإلهية والاعتراف بالحقيقة فضيلة، وعدم الاعتراف بها مكابرة، وهي خروج على الخلق الحسن، ولهذا فقد وصف الله الكافرين بالتكبر في كثير من الآيات، كما وصف الشرك بالظلم؛ لأنه يشرك غير المنعم بالمنعم في الإجلال والتعظيم، ولهذا يقول "رينه مونييه": إن الإيمان ليس على الصعيد المنطقي بل على الصعيد الأخلاقي؛ لأنه ينتمي إلى واجب" "البحث عن الحقيقة.

[١٤] أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢١٣٣١) قال المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده محتمل للتحسين.

وهو اعتراف أيضاً بإنعام المنعم والاعتراف بالفضل وهو أخلاق، ولهذا بين الله تعالى في الآية السابقة "أن الإيمان به بر"؛ لأنه من أعمال القلوب الإيجابية الأخلاقية، ثم الشكر على هذا واجب وأداء الواجب أخلاق."[١٥]

ولما احتاج الناس لبعضهم في الانصهار فيما بينهم سواء أكان نسباً أو صهراً أو صحبة، ورتب للأبوين علاقة مميزة وواجب مهم، فعلى الولد تبعات ومهمات شاقة، يجب أداءها تجاه والديه، ويأتي في الدرجة التي تليها علاقة الزوجين، فمهما طالت العشرة الزوجية أو قصرت سيبقى حفظ الود سيد الأخلاق فيما بينهما، وإلا وقعت الشحناء والبغضاء وعدم الوفاء ونكران الجميل وهي ليست في أخلاق المؤمن في شيء، لذا جاء القرآن بالضوابط التي تحكم هذه العلاقة وخصوصاً عند الفراق، ليحافظ على تماسك المجتمع وتعاونه وارتباطه ليسود الود وتفيض الرحمة بين أفراده.

-قال الطاهر بن عاشور موضحاً علاقات الناس مع بعضهم قرباً وبعداً وخصوصاً الزوجين: " إن القانون العام لانتظام المعاشرة هو الوفاق في الطبائع والأخلاق والأهواء والأميال، وقد وجدنا المعاشرة نوعين: أولهما معاشرة حاصلة بحكم الضرورة، وهي معاشرة النسب، المختلفة في القوة والضعف، بحسب شدة قرب النسب وبعده كمعاشرة الآباء مع الأبناء،

---

[١٥] علم الأخلاق الإسلامية١/٥١، المؤلف: مقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

والإخوة بعضهم مع بعض، وأبناء العم والعشيرة، واختلافها في القوة والضعف يستتبع اختلافها في استغراق الأزمان، فنجد في قصر زمن المعاشرة، عند ضعف الآصرة، ما فيه دافع للسآمة والتخالف الناشئين عما يتطرق إلى المتعاشرين من تنافر في الأهواء والأميال، وقد جعل الله في مقدار قرب النسب تأثيرا في مقدار الملاءمة لأنه بمقدار قرب النسيب، يكون التئام الذات مع الأخرى أقوى وأتم، وتكون المحاكة والممارسة والتقارب أطول، فنشأ من السببين الجبلي، ولاصطحابي، ما يقوي اتحاد النفوس في الأهواء والأميال بحكم الجبلة، وحكم التعود والإلف، وهكذا يذهب ذلك السببان يتباعدان بمقدار ما يتباعد النسيب.

النوع الثاني: معاشرة بحكم الاختيار وهي معاشرة الصحبة والخلة والحاجة والمعاونة، وما هي إلا معاشرة مؤقتة تطول أو تقصر، وتستمر أو تغب، بحسب قوة الداعي وضعفه، وبحسب استطاعة الوفاء بحقوق تلك المعاشرة، والتقصير في ذلك، والتخلص من هذا النوع ممكن إذا لم تتحد الطباع."[١٦]

[١٦] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»٢/٤٥٦، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ).

المبحث الأول: الاعتراف بالفضل

تعريف الاعتراف بالفضل لغة:

التعريف مؤلف من كلمتين، الاعتراف، والفضل.

أما الاعتراف: فهو مصدر اعترف بالشيء أي أقر به، وهو مأخوذ من مادة (ع ر ف) التي تدل على معنيين: الأول تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض ومن ذلك عرف الفرس، والآخر السكون والطمأنينة ومنه المعرفة والعرفان، تقول عرف فلاناً عرفاناً ومعرفة، وهذا أمر معروف لأن من عرف شيئاً اطمأن إليه، ومن أنكره توحش منه ونبا عنه، ومن هذا المعنى قولهم: اعترف بالشيء إذا أقر، كأنه عرفه فأقر به، "وجاء في الصحاح: والاعتراف بالذنب: الإقرار به واعترفت القوم، إذا سألتهم عن خبر لتعرفه.

وربما وضعوا اعترف موضع عرف كما وضعوا عرف موضع اعترف، ويقال عرف بذنبه عرفاً واعترف (اعترافاً): أقر. وضد (الاعتراف) الجحود والنكران، وفي التنزيل (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها)، النحل: ٨٣."[١٧]

وأما الفضل: فهو الإحسان وهو ضد النقص والنقيصة، ويقال: رجل مفضال وامرأة مفضالة على قومها إذا كانت ذات فضل سمحة، وأفضل عليه؟، وتفضل بمعنى. وأما المتفضل فهو الذي يدعي الفضل على أقرانه،

---

[١٧] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية٤/١٤٠٢، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ).

وتقول: فضلته على غيره تفضيلاً: إذا حكمت له بذلك، وفاضلته ففضلته، إذا غلبته بالفضل. والفضلة والفضالة، ما فضل من شيء ".[١٨]

الاعتراف بالفضل اصطلاحاً:

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي للاعتراف بالفضل عن معناه المألوف في اللغة، وهو أن يقر المتفضل عليه من الناس بفضل من يصدر عنه الفضل ولا يجحده أو يتناساه، ولا شك أن المولى- عز وجل- هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، إذ هو المتفضل على أهل الدنيا مسلمهم وكافرهم بنعمه التي لا تحصى، وفي الآخرة يدخل عباده الصالحين الجنة ويورثهم دار المقامة من فضله، والنبي ﷺ له الفضل الأوفى على أمته في شرح وبيان كتاب الله تعالى، ونشر دين الله عزوجل كما أراده الله تعالى.

الاعتراف بالفضل في القرآن الكريم:

أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم بألا ننسى الفضل فيما بيننا، وأن ننسب هذا الفضل إلى أهله، ولما كان الله- عز وجل- هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، فقد امتدحت آي الذكر الحكيم من يعترف بهذا الفضل له سبحانه، كما نعى على الكفار جحودهم ونكرانهم لفضله عز وجل، وفضل الأنبياء.

---

[١٨] الصحاح ١٧٩٢/٥.

قال الطبري عند تفسير (ولا تنسوا الفضل بينكم) البقرة:٢٣٧: يقول تعالى ذكره: "ولا تغفلوا أيها الناس، الأخذ بالفضل بعضكم على بعض فتتركوه، ولكن ليتفضل الرجل المطلق زوجته قبل مسيسها، فيكمل لها تمام صداقها إن كان لم يعطها جميعه. وإن كان قد ساق إليها جميع ما كان فرض لها، فليتفضل عليها بالعفو عما يجب له ويجوز له الرجوع به عليها، وذلك نصفه. فإن شح الرجل بذلك وأبى إلا الرجوع بنصفه عليها، فتتفضل المرأة المطلقة عليه برد جميعه عليه، إن كانت قد قبضته منه. وإن لم تكن قبضته، فلتعف عن جميعه. فإن هما لم يفعلا ذلك وشحّا وتركا ما ندبهما الله إليه- من أخذ أحدهما على صاحبه بالفضل- فلها نصف ما كان فرض لها في عقد النكاح وله نصفه".[١٩]

منزلة الاعتراف بالفضل:

لهذه الصفة منزلة جليلة لما يعود منها من خير على المجتمع بأسره حيث يؤدي ذلك إلى استقرار هذا المجتمع وتآلف أفراده وتشجيع ذوي الفضل أن يستمروا في تفضلهم الذي يلقى الاعتراف من الآخرين، ولما كان من طبع الإنسان أن يهش إذا نسب إليه الخير، وتوجه إليه بالشكر، كان الاعتراف بالفضل باعثاً على مرضاته، بعد مرضاة الله تعالى؛ لأن من يشكر

[١٩] جامع البيان في تأويل القرآن٥/١٦٤، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

الناس فإنما هو في الحقيقة يشكر المولى الذي أجرى الخير على أيديهم، وقد جاء في الحديث: أن "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[٢٠]

ويفهم من ذلك أن من يشكر الناس فإنما يشكر الله- عز وجل- أيضاً، والشكر لله يزيد في النعمة ويورث الرضا، والشكر عرفان عملي، واعتراف حقيقي بالمعروف.

[٢٠] أخرجه أحمد في مسنده برقم (٧٩٣٩) قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

المبحث الثاني: نكران الجميل

تعريف نكران الجميل لغة:

يقول الراغب: الإنكار: ضد العرفان. والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة، وإلى ذلك أشار بقوله:(الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) التوبة: ١١٢[٢١].

الجميل لغة:

الجميل في اللغة وصف مشتق من مادة (ج م ل) التي تدل على الحسن، ومنه الجمال الذي هو ضد القبح.

نكران الجميل اصطلاحاً:

ألا يعترف الإنسان بلسانه بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه سواء من الله- عز وجل- أو من المخلوقين. وهذا المعنى قريب من كفران نعمة المحسن، ومن معنى الجحود والإنكار.[٢٢]

---

[٢١] المفردات للراغب الأصفهاني ١/٥٠٥

[٢٢] اقتبس هذا التعريف من جملة الأقوال المذكورة في كتب اللغة وغيرها. انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريمﷺ١/٥٣٥٦.

أسباب كفران النعم وجحودها:

من المفيد أن نقف على كلام تام البيان والفائدة للإمام أبي حامد الغزالي وهو يعدد الأسباب التي دعت إلى كفران النعم وجحودها قال – رحمه الله تعالى–: "اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفة كونها نعمة، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول باللسان: الحمد لله، الشكر لله. ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله– عز وجل– فلا يمنع من الشكر بعد حصول المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان.."[٢٣]

حكم نكران الجميل:

إن نكران الجميل أو كفران نعمة المحسن يجيز للمحسن أن يمن بنعمته على من أنكرها، يقول الراغب: "ولحسن ذكرها (النعمة) عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة، هذا في الدنيا أما في الآخرة." [٢٤]، فقد عدها بعض العلماء من الكبائر خاصة إذا كانت النعمة من الله سبحانه وتعالى أو ممن تجب مراعاته كالزوج.

---

[٢٣] إحياء علوم الدين٤/١٢٣، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،

[٢٤] المفردات في غريب القرآن ١/٧٧٧، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، .

يقول الإمام ابن حجر الهيتمي:" ذكر جماعة أن كفران نعمة المحسن من الكبائر وهو بعيد، ويتعين حمله على كفران نعمة الله- عز وجل- إذ هو المحسن على الحقيقة، ويمكن حمله أيضاً على كفران نعمة محسن تجب مراعاته كالزوج لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد".[٢٥]

وقال- رحمه الله- في موضع آخر: "كفران نعمة الخلق المستلزم لكفران نعمة الحق فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن آتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه"[٢٦]. وفي رواية: "فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم فإن الله شاكر يحب الشاكرين".[٢٧]

وفي رواية الترمذي: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به فإن لم يجد فليثن فإن من أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر"[٢٨]. وفي الحديث:" «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»".[٢٩]

---

[٢٥] الزواجر لابن حجر (١٤٧).

[٢٦] أخرجه أحمد برقم (٥٣٦٥)، إسناده صحيح على شرط الشيخين..

[٢٧] أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٢٩).

[٢٨] أخرجه الترمذي برقم (٢٠٣٤) وقال حديث حسن.

[٢٩] أخرجه البخاري برقم (٥٢١٩).

وفي رواية جيدة لأبي داود: «من أبلي أي أنعم عليه – إذ الإبلاء الإنعام – فذكره فقد شكره وإن كتمه فقد كفره».[٣٠]

وفي الحديث أيضاً: «إن أشكر الناس لله – تبارك وتعالى – أشكرهم للناس».[٣١]

وعبد الله بن أحمد بسند لا بأس به: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وترك التحدث كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب».[٣٢] والترمذي وقال حسن غريب: «من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء».

تنبيه: عد هذا كبيرة هو ظاهر ما في الحديث الثاني من أن ذلك كفر، أي يجر إلى كفر نعم الله – تعالى – لكن لم أر أحدا تعرض لذلك، وكأن عذرهم أنهم فهموا أن المراد أنه كفر لنعمة المحسن، ومجرد هذا لا يقتضي أنه كبيرة."[٣٣]

---

[٣٠] أخرجه أبوداود برقم (٤٨١٤) وهو حديث صحيح.

[٣١] أخرجه أحمد برقم (٢١٨٤٦).

[٣٢] أورده المنذري في "الترغيب والترهيب برقم" (١٤٢٦) ونسبه لعبد الله ابن أحمد، وقال: إسناده لا بأس به!

[٣٣] الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/٣١٥، المؤلف: أحمد بن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٤هـ).

المبحث الثالث: نسيان مودة صاحب الفضل

إن من كريم الأخلاق وكمال الأدب ألا تنسى فضل من كانت بينك وبينه مودة. قال الله تعالى:(ولا تَنسَوُا الفَضْلَ بيْنَكم)، لأن نسيان فضل صاحب الفضل من خسيس الطباع والأخلاق، ويقال نسيان الفضل يقرب صاحبه من البخل، وإن من سنة الكرام إذا خفيت عليهم مواضع الكرم أن يشحذوا بصائر الجود لتطالع لطائف الكرم فتتوفر دواعيهم في اقتناء أسباب الفضل". فينبغي ألا نجعل ساعة الخصومة تهدم سنواتِ المودَّة.

قال أبو حاتم البستي:" الحر لا يكفر النعمة ولا يتسخط المصيبة بل عند النعم يشكر وعند المصائب يصبر ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك ألا يشكر الكثير منه والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ولمن أسداها إليه "[٣٤].

إن الفضل أعلى درجات المعاملة، لذلك يقول السعدي رحمه الله في تفسيره: "الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب. وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في

---

[٣٤] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء١/٢٦٤، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ.

بعض الأوقات، وخصوصاً لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم"[٣٥]

وقد بوب البخاري بعنوان حسن العهد، لما له من أهمية وأثر ينعكس على الأمة بأسرها:" قال أبو عبيد:" العهد هنا رعاية الحرمة، وقال عياض: هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له، وقال الراغب: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال.

وعهد الله تارة يكون بما ركزه في العقل، وتارة بما جاءت به الرسل، وتارة بما يلتزمه المكلف ابتداء كالنذر، ومنه قوله تعالى:(ومنهم من عاهد الله)، وأما لفظ العهد فيطلق بالاشتراك بإزاء معان أخرى منها الزمان والمكان واليمين والذمة والصحة والميثاق والإيمان والنصيحة والوصية والمطر ويقال له العهاد أيضاً"[٣٦]

فما أحوج المسلم للالتزام بهذا الخلق الجميل الذي يعبر عن الوفاء وحسن الصنيع ومقابلة الفضل بأفضل منه.

---

[٣٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان١/١٠٥، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)

[٣٦] فتح الباري شرح صحيح البخاري١٠/٤٩١، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني.

وقال ابن القيم: " ومما يدل على أن من أدى عن غيره واجباً أنه يرجع عليه به قوله تعالى: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)، الرحمن: ٦٠

وليس من جزاء هذا المحسن بتخليص من أحسن إليه بأداء دينه، وفك أسره منه، وحل وثاقه أن يضيع عليه معروفه وإحسانه، وأن يكون جزاؤه منه بإضاعة ماله ومكافأته عليه بالإساءة، وقد قال النبي ﷺ "من أسدى إليكم معروفا فكافئوه"[٣٧] وأي معروف فوق معروف هذا؟ والعباد الذين أمر الله بالإحسان إليهم خمسة أنواع:

أحدها: من بينه وبين الإنسان قرابة، وخص منهم الوالدين بالذكر؛ لامتيازهما عن سائر الأقارب بما لا يشركونهما فيه، فإنهما كانا السبب في وجود الولد ولهما حق التربية والتأديب وغير ذلك.

الثاني: من هو ضعيف محتاج إلى الإحسان، وهو نوعان: من هو محتاج لضعف بدنه، وهو اليتيم، ومن هو محتاج لقلة ماله، وهو المسكين.

والثالث: من له حق القرب والمخالطة الجار قال ﷺ:" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره".[٣٨]

---

[٣٧] أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (رقم ٢١٦). وهو حديث صحيح.

[٣٨] أخرجه البخاري برقم (٦٠١٩).

وعن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً"[٣٩]

وقال طائفة من السلف: "حد الجوار أربعون داراً، وقيل: مستدار أربعين داراً من كل جانب".[٤٠]

[٣٩] أخرجه البخاري برقم (٢٢٥٩).

[٤٠] ذكره: ابن عطية في " تفسيره " ٥١/٤، والقرطبي في " تفسيره " ١٨٥/٥. والقول الثاني للأوزاعي.

المبحث الرابع: الوالدان منبع الفضل والإحسان

قال السباعي في كتابه هكذا علمتني الحياة: تحت عنوان فضل الأم وجحود الولد: "ليس في الدنيا إنسان يتحمل العذاب راضياً مختاراً في سبيل غيره، كالأم في سبيل ولدها، وليس في الدنيا إنسان يتعرض للجحود ونكران الجميل، كالأم من ولدها، وهذا من أعجب مفارقات الحياة."[٤١]

كيف ينسى العاقل فضل والديه عليه وهما اللذان ربياه وأحسنا تربيته وسهرا الليالي لمرضه وبحثا عن لقمة العيش ليعيش في رغد وهناء، أما تفكر بقول الله تعالى:(وبالوالدين إحساناً). وبقوله تعالى:(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)، وبقوله تعالى:(حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً)، وقوله تعالى:(فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً).قال ابن بطال في تعليقه على قول الله عزوجل:(وبالوالدين إحساناً)، فأخبر النبي ﷺ أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام، ورتب ذلك بثم التي تقتضى الترتيب، وتدل على أن الثاني بعد الأول وبينهما مهله، وقد دل التنزيل على ذلك قال تعالى: (وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغنّ عندك الكبرَ أحدهما أو كلاهما) يعنى ما يبولان ويحدثان، (فلا تقل لهما أف)، قال مجاهد: والمعنى لا تستقذرهم كما لم يكونا يستقذرانك. وقال عطاء: لا تنغض يديك عليهما ولا تنهرهما أي لا تغلظ لهما، (وقل لهما قولاً كريماً) أي سهلاً ليناً عن قتادة وغيره. وقال أبو هريرة:

---

[٤١] هكذا علمتني الحياة١/٢٤١، المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ).

لا تمش أمام أبيك، ولا تقعد قبله، ولا تدعه باسمه. وقيل: تمشى في الظلمة بين يديه: من لم يدرك أبويه أو أحدهما، فلا باس أن يقول: رب أرحمهما كما ربياني صغيراً). "[٤٢].

ومن الذين أمر الله بالإحسان إليهم، من بينه وبين الإنسان قرابة، وخص منهم الوالدين بالذكر؛ لامتيازهما عن سائر الأقارب بما لا يشركونهما فيه، فإنهما كانا السبب في وجود الولد ولهما حق التربية والتأديب وغير ذلك.

فالإساءة إليهما من أعظم أنواع الجحود ونكران الجميل، لأن إحسانهما وفضلهما لا يماثله أي إحسان في هذا الوجود، ولهذا جعل النبي ﷺ عقوق الوالدين من أعظم الكبائر لقول النبي ﷺ:" عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ " ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " الإشراك بالله، وعقوق الوالدين " وجلس، وكان متكئاً، فقال: " ألا وقول الزور " فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت."[٤٣]

[٤٢] شرح صحيح البخاري لابن بطال٩/١٨٨، أبو الحسن علي بن خلف (المتوفى: ٤٤٩هـ).
[٤٣] أخرجه البخاري برقم (٨٢١).

المبحث الخامس: الزوجة صاحبة فضل

كيف تنسى مودة تلك الزوجة التي رضيت بك وعاشت معك وصبرت على حُلو معيشتك ومُرها!

الزوجة الصالحة من أعظم نعمِ الله – تعالى – على الرجل بعد نعمة الإسلام؛ ولذلك يجب على الرجل حفظها ورعايتها، وأن يشكر ربه على هذه النعمة.

فالمرأة لا تحتاج إلى المال ومتاع الدنيا، أكثر مما تحتاجه من كلمة طيبة، تشعر فيها بكرامتها وقيمتها الإنسانية؛ فالكلمة الطيبة والابتسامة الجميلة من أغلى الهدايا التي يقدمها الزوج لزوجته، خصوصًا عندما تقوم المرأة بخدمة بيتها وزوجها، فيقابلها بالكلمة الطيبة: من الدعاء لها بالخير، والدعاء أن يبارك الله فيها، فالمرأة إن وجَدت معروفها يُشكر، وأن خيرها يُذكر ولا يُكفر – حمِدت ذلك من بعْلها، ونشِطت للإحسان إليه، والقيام بأمره وشأنه، بل كان ذلك معينًا لها على البقاء على العِشرة بالمعروف.

قال الغزالي في إحيائه:" فالمرأة: لباس الزوج، وستره، وسكينته، وهدوء قلبه، وهي أم ولده، وشريكة حياته، فلها حقوق على الزوج، كما أن للزوج حقوقًا عليها؛ لقوله تعالى:(ولَهُنَّ مِثلُ الذي علَيْهِنَّ بالمعْروفِ) البقرة: ٢٢٨، ولقول النبي ﷺ كما عند الترمذي: عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي، أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى

عليه، وذكر، ووعظ، فذكر في الحديث قصة، فقال: ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن."[٤٤].

وعندما تعطى الزوجة حقها، من الرعاية والعناية والتقدير، ينعكس ذلك على الزوج والأولاد والجيران والأرحام، وبذلك تربي رجالاً أعزاء، وبنات عزيزات، يعيشون بسكينة وطمأنينة.

[٤٤] أخرجه الترمذي برقم (١١٦٣) وقال حسن صحيح.

المبحث السادس: الزوج صاحب فضل

سبب تعظيم الشرع لحق الزوج على زوجته لعظيم منَّته عليها، ولعظم واجباته ومسؤولياته التي يضطلع بها تجاهها، فقد أوجب الشرع عليه ما لم يوجبه على المرأة حتى على نفسها، فأوجب لها عليه مهراً، وأن ينفق عليها، وأعفاها من النفقة على نفسها، وأن يؤمن لها السكن والكسوة، حتى ولو كانت غنِيّة، أو كان لها مورد مالي يكفيها، أو يزيد على حاجتها.

كما أوجب عليه نفقة أولاده منها، فإن طلقها في مدة الحمل وجب عليه أن ينفق عليها حتى تضع حملها، فإذا وضعت حملها فلها أن تأخذ أجرةً على إرضاع ولدها منه، أفلا يعظم حقه عليها مقابل ما كُلِّف به من واجبات تجاهها؟

وقد أكد النبي ﷺ على فضل الزوج على زوجته، ونبَّه إلى عظيم حقه عليها حتى يكون ذلك أدعى لها أن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما فيه معصية الله تعالى.

إن البيوت لا تصلح بلا رب يسوس الرعية، كما لا يصلح البلد بلا حاكم، ولا السفينة بلا ربان.

على أنه يجب أن تدرك الزوجة أن تعظيم حق الزوج عليها لا يعني هضم منزلتها، ولا بخسها شيئاً من حقوقها، ولا يلزم منه احتقارها وإذلالها.

وعليها أن تدرك أن ما أعطي للرجل لم يؤخذ من المرأة، ولم يكن في ذاته سلباً لكرامتها، ولا بخساً لقدرها، على أن إيجاب الطاعة للزوج على زوجته لا يمنحه حق الاستبداد والتعسف، ومن فهم ذلك فقد جار على الشريعة، وأساء الظن بها، فالاستبداد داء خطير، لا يدخل مملكة ولا إمارةً إلا أفسدها وأذل أهلها، وأفضى إلى كراهية الرعية لراعيها.. الزوجة لزوجها، والأولاد لوالدهم، والمحكومين لحاكمهم.

وتستطيع المرأة أن تعيش وتكتسب بلا رجل، لكنها لا تستطيع أن تصبح أماً بلا زوج!، ولا تستطيع أن تشبع رغباتها من طريق الحلال بلا زوج، كما أن الزوج هو الآخر لا يستطيع أن يصبح أباً بلا زوجة، ولا أن يشبع رغباته بالحلال بلا زوجة.

ولقد منح الشرع الحاكم والأمير والزوج حق الطاعة على أهل مملكته أو بيته، لكنه أوجب لهم عليهم حق الشورى وحرّم عليهم الاستبداد بالرأي، كما قال تعالى: (وشاورهم في الأمر) آل عمران:١٥٩ (وأمرهم شورى بينهم) الشورى:٣٨.[٤٥]

[٤٥] أسباب تعظيم حق الزوج د. سامي بن عبد العزيز الماجد عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المبحث السابع: الإخوة أصحاب فضل[٤٦]

القيام بحق الأخوة والأخوات من النسب عبادة وليست عادة ولا مجاملة ولا لمطمع دنيوي بل دين ندين الله تعالى به، فقد روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: "بر أمك وأباك، وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك"[٤٧]

كيف تنسى أخوك الذي ولدته أمك تخاصمت معه بسبب تافه، والله تعالى يقول:(ولاتنسوا الفضل بينكم).

وعلينا الانتباه مما يسبب الفساد والقطيعة بين الإخوة والأخوات، فمن الأمور التي قد تفسد الود بين الأخوة والأخوات هو المال، والمال جبلت النفوس على حبه فليكن المال سبباً لاجتماعك وقوة علاقتك مع إخوتك وأخواتك لا يغلب حب المال على حب أخواتك وإخوانك، يندى الجبين ألماً حينما يتنازع إخوة على إرث أو شركة في مال وقد يصل الحال بهم إلى المحاكم، لذا لابد أن يكون هناك وضوح شديد في الأمور المالية المشتركة ما الذي لكل واحد وإن كان هناك شريك للوالد أو الوالدة في مال وتجارة فلا بد من كتابتها والإشهاد عليها.

---

[٤٦] من مقال "في حقوق الأخوة من النسب"، الشيخ سليمان السلامة. ص٢

[٤٧] أخرجه أحمد برقم (٧١٠٥).

المبحث الثامن الصاحب له فضل

كيف تنسى فضل صديقك الذي ربطتكم علاقة أُخوةٍ ومحبة، ويأتي اليوم الذي تريد أن تنتقم منه لسوء فهم منك ...! والله تعالى يقول:(ولا تنسوا الفضل بينكم).

إذا ما حال عهدُ أخيك يَوماً وحادَ عَن الطَرِيقِ المستَقِيمِ،

فَلاَ تعجلْ بِلَوْمِك وَاسْتدِمه فَإِنَّ أَخَا الْخِفَاظِ المستَدِيم،

فَإِن تكُ زلةٌ مِنه وَإِلا..... فلاَ تَبعدْ عَن الْخُلُقِ الكرِيم.

قال الله تعالى لموسى عليه السلام:(سنشد عضدك بأخيك). القصص:٣٥

أي: سنقوي أمرك، ونعز جانبك بأخيك، فإن الأخ هو الأقرب إلى أخيه، والأحرص على سلامته ونفعه، يعينه بإخلاص، ويقف إلى جواره بصدق وقوة، لذلك اختار موسى أخاه هارون دون غيره؛ ليؤازره في مهمته، ويكون له شرف النبوة معه، ودعا له بالمغفرة والرحمة.

قال الله سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام:(قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين). الأعراف: ١٥١

أي: اغفر ذنوبنا بستر منك، وارحمنا برحمتك الواسعة التي ترحم بها عبادك المؤمنين. قال بعض العلماء: "ليس أحد أعظم منة على أخيه، من موسى على هارون عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً، وما

ذكر الله تعالى لنا ذلك إلا لنقتدي بهما، فندرك مكانة الأخ العظيمة، وأهميته الكبيرة، فيحافظ كل واحد منا على ود أخيه، ويحرص على بذل المعروف له.

من الوفاء ألا يتغيَّر حال الأخ مع أخيه في التواضع وإن ارتفع شأنه، فالإنسان في الدنيا قد ينتقل من مكانٍ إلى آخر، من منصب إلى آخر، من عمل إلى آخر، فإذا ارتفع شأنه فمن باب الوفاء مع إخوانه في الله ألا يبتعد عنهم، وألا يزوَّرَّ عنهم، وألا يرى نفسه فوقهم، "[٤٨]

[٤٨] مستفاد من بحث في الفقه الإسلامي – موضوعات متفرقة – الدرس ٢٦: حقوق الأخوة في الإسلام. د.محمد راتب النابلسي. وانظر موقع هيئة الوقف والشؤون الاسلامية. أبو ظبي.

الفصل الثاني

المبحث الأول: تعريف الفضل لغة واصطلاحاً

الفضل في اللغة:

يقال: أفضل فلان على فلان: أناله من فضله وأحسن إليه، وأفضل من الأرض والطعام إذا ترك منه شيئاً، ولغة أهل الحجاز فضل يفضل، ورجل مفضال: كثير الخير."[٤٩]

الفضل اصطلاحاً:

قال الجرجاني:" الفضل: ابتداء إحسان بلا علة."[٥٠] وقال أبو البقاء: الفضل: كل عطية لا تلزم من يعطي يقال لها فضل، الطبيعة غالباً فتأتي: بالفضيلة إذا قصد به صفات الكمال من العلم ونحوه للإشعار بأنها لازمة دائمة، والفضل بمعنى كثرة الثواب في مقابلة القلة"[٥١]

فالفضل: يأتي ابتداء عن طيب نفس وقناعة وقربة إلى الله واعتراف بالجميل.

---

[٤٩] كتاب العين٧/٤٤، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ).

[٥٠] كتاب التعريفات١/١٦٧، المؤلف: علي بن محمد الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ).

[٥١] الكليات ١/٦٧٥ أيوب بن موسى أبو البقاء (المتوفى: ١٠٩٤هـ)..

المبحث الثاني: من معاني الفضل في القرآن الكريم

الفضل يأتي بمعنى العفو:

في تفسير قوله تعالى: (خذ العفو) الأعراف: ١٩٩قال قتادة: هو الفضل."[٥٢] وقال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معنى "العفو": الفضل من مال الرجل عن نفسه وأهله في مؤونتهم ما لا بد لهم منه. وذلك هو الفضل الذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ بالإذن في الصدقة، وصدقته في وجوه البر"[٥٣]

وقال: قال رسول الله ﷺ: " الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى، فأعط الفضل، ولا تعجز عن نفسك"[٥٤]

الفضل يأتي أيضاً بمعنى: الإسلام:

(فلولا فضل الله عليكم ورحمته)، قال أبو حيان الأندلسي: الفضل: الإسلام، والرحمة: القرآن، قاله أبو العالية. أو الفضل: قبول التوبة، والرحمة: العفو عن الزلة، أو الفضل: التوفيق للتوبة، والرحمة: القبول. أو الفضل والرحمة، فأخبر الله عنهم. أو الفضل والرحمة: بعثة رسول الله ﷺ وإدراكهم

---

[٥٢] تفسير عبد الرزاق١/٣٤٠، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)،

[٥٣] تفسير جامع البيان في تأويل القرآن٤/٣٤٠، محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

[٥٤] أخرجه الحاكم برقم (١٤٣٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

لمدته. وعلى هذا القول يكون من تلوين الخطاب، إذ صار هذا عائداً على الحاضرين."[٥٥]

ويراد بالفضل الرزق:

في تفسير قوله تعالى:(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) "قال الشوكاني: فيه الترخيص لمن حج في التجارة ونحوها من الأعمال التي يحصل بها شيء من الرزق، وهو المراد بالفضل هنا، ومنه قوله تعالى: (فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) الجمعة:١٠ أي: لا إثم عليكم في أن تبتغوا فضلاً من ربكم مع سفركم لتأدية ما افترضه عليكم من الحج."[٥٦]

ومن معاني الفضل الربح في التجارة:

قال الشنقيطي في أضواء البيان: " قوله تعالى: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) لم يبين هنا ما هذا الفضل الذي لا جناح في ابتغائه أثناء الحج. وأشار في آيات أخر إلى أنه ربح التجارة كقوله: (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) لأن الضرب في الأرض عبارة عن السفر للتجارة، فمعنى الآية يسافرون يطلبون ربح التجارة. وقوله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) أي: بالبيع

---

[٥٥] البحر المحيط في التفسير ١/٣٩٥، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،

[٥٦] فتح القدير ١/٢٣١، المؤلف: محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)،

والتجارة، بدليل قوله قبله: (وذروا البيع) أي: فإذا انقضت صلاة الجمعة فاطلبوا الربح الذي كان محرما عليكم عند النداء لها. وقال في موضع آخر الفضل هو النصر والتمكين وذلك في معرض تفسير قوله تعالى:(قوله تعالى: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما، ذكر في هذه الآية الكريمة، أن المنافقين إذا سمعوا أن المسلمين أصابهم فضل من الله أي: نصر وظفر وغنيمة تمنوا أن يكونوا معهم ; ليفوزوا بسهامهم من الغنيمة. "وذكر في مواضع أخر أن ذلك الفضل الذي يصيب المؤمنين يسوؤهم لشدة عداوتهم الباطنة لهم، كقوله تعالى: إن تمسسكم حسنة تسؤهم وقوله: (إن تصبك حسنة تسؤهم). قوله تعالى: (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب) الآية، ذكر في هذه الآية الكريمة أنه سوف يؤتي المجاهد في سبيله أجراً عظيماً سواء أقتل في سبيل الله، أم غلب عدوه، وظفر به، وبين في موضع آخر أن كلتا الحالتين حسنى، وهو قوله: قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، والحسنى صيغة تفضيل ; لأنها تأنيث الأحسن."[٥٧]

[٥٧] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن١/٢٤٦، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ).

ويراد بالفضل: النبوة"

قال قتادة: المراد بالناس والفضل في قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)، النساء:٥٤، الناس: العرب، والفضل: النبوة"[٥٨]

[٥٨] دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر١/٣١، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ).

المبحث الرابع: في قوله تعالى: (ولاتنسوا الفضل بينكم)

قال ابن الجوزي: في قوله تعالى: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير) البقرة:٢٣٧

قوله تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير)، ولا تنسوا الفضل بينكم، والفضل في هبة الإنسان مال نفسه، لا مال غيره. قوله تعالى: (وأن تعفوا أقرب للتقوى)، فيه قولان:

أحدهما: أنه خطاب للزوجين جميعاً، روي عن ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنه خطاب للزوج وحده، قاله الشعبي، وكان يقرأ: «وأن يعفو» بالياء. قوله تعالى:(ولا تنسوا الفضل بينكم)، خطاب للزوجين، قال مجاهد: هو إتمام الرجل الصداق، وترك المرأة شطرها.[٥٩]

-وقال البقاعي في قوله تعالى:(وأن تعفوا أقرب للتقوى ولاتنسوا الفضل بينكم..) " ولما كان العفو فضلاً من العافي وإحساناً لها منه وكانوا إنما يتفاخرون بالفضائل أكده بقوله: (ولا تنسوا) أي تتركوا ترك المنسي، والتعبير بالنسيان آكد في النهي (الفضل) أي أن تكونوا مفضلين في جميع ما مضى لا مفضلا عليكم، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى، وزاده تأكيدا بقوله:

[٥٩] تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/٣

(بينكم) أي حال كونه واقعا فيكم من بعضكم لبعض ليس شيء منه خارجا عنكم، ولن ينال الله منه شيء لأنه غني عن كل شيء، فما أمركم به إلا لنفعكم خاصة،".[٦٠]

وقال الشوكاني:" قوله: (ولا تنسوا الفضل بينكم) ومن جملة ذلك: أن تتفضل المرأة بالعفو عن النصف، ويتفضل الرجل عليها بإكمال المهر، وهو إرشاد للرجال والنساء من الأزواج إلى ترك التقصي على بعضهم بعضا، والمسامحة فيما يستغرقه أحدهما على الآخر للوصلة التي قد وقعت بينهما من إفضاء البعض إلى البعض، وهي وصلة لا يشبهها وصلة، فمن رعاية حقها ومعرفتها حق معرفتها الحرص منهما على التسامح."[٦١]

وقال القاسمي في محاسن التأويل:

(ولا تنسوا الفضل بينكم)، أي: التفضل بالإحسان لما فيه من الألفة وطيب الخاطر. فهو حث على العفو، فمن عفا منهما فله الفضل على الآخر منه شيئاً) النساء: ٢٠. فينبغي أن لا تنسوا ذلك الفضل فتجرون عليه حيث لم تلزموا به."[٦٢]

---

[٦٠] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٣/٣٥٧، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[٦١] فتح القدير١/٢٩٢.

[٦٢] محاسن التأويل٢/١٦٢، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)..

وقال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير:" جاءت هذه الآية مرتبطة بالتذييل الذي ذيلت به الآية السابقة وهو قوله: (وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم) البقرة: ٢٣٧ فإن الله دعانا إلى خلق حميد، وهو العفو عن الحقوق، ولما كان ذلك الخلق قد يعسر على النفس، لما فيه من ترك ما تحبه من الملائم، من مال وغيره كالانتقام من الظالم، وكان في طباع الأنفس الشح، علمنا الله تعالى دواء هذا الداء بدواءين، أحدهما دنيوي عقلي، وهو قوله: ولا تنسوا الفضل بينكم، المذكر بأن العفو يقرب إليك البعيد، ويصير العدو صديقا وإنك إن عفوت فيوشك أن تقترف ذنبا فيعفى عنك، إذا تعارف الناس الفضل بينهم، بخلاف ما إذا أصبحوا لا يتنازلون عن الحق.."[٦٣]

وقال الشنقيطي في أضواء البيان:" وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم)، البقرة٢: ٢٣٧.، فانظر ما في هذه الآية من الحض على مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل، وقال تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا). المائدة:٢

وقال تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى). المائدة:٨.

---

[٦٣] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»١/٤٦٥

فانظر ما في هذه الآيات من مكارم الأخلاق، والأمر بأن تعامل من عصى الله فيك بأن تطيعه فيه.

وقال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم).

فانظر إلى هذا من مكارم الأخلاق، والأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء.

وقال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)، وقال تعالى: (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)، وقال: (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن)، وقال تعالى: (وإذا مروا باللغو مروا كراماً)، وقال تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما يدعو إليه القرآن من مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات.

المبحث خامس: أنواع الفضل في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم أنواع الفضل، وأنه مبين وعظيم، وكبير، فما الحكمة من ذلك، وما انعكاسه على العبد؟ هذا ما سأبينه في هذا المبحث.

الفضل المبين:

ذكر الله الفضل المبين وفي ذلك إرشادات ودروس منها:

– استعراض لنعم الله تعالى وآلائه، كما في عطاء الله لنبي الله سليمان عليه السلام.

–وأيضاً دعوة لتذكير الغافل بأفضال الله عليه فهي واضحة غير خافية. وأيضاً: الفضل المبين، لإظهار مكانة ابن آدم على جميع مخلوقاته وهذا لا يخفى أيضاً.

–وفي ذكر الفضل المبين، دعوة لدوام الشكر والحمد على جميع إنعامه وتفضيلاته، والأدلة على ذلك فيما يأتي:

أ– قال ابن كثير يعني (إن هذا لهو الفضل المبين) أي: الظاهر البين لله علينا."[٦٤]

[٦٤] تفسير القرآن العظيم٦/١٨٢، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ).

ب-قال مكي بن أبي طالب في قوله تعالى:(إن هذا لهو الفضل المبين)، أي إن الذي أوتيناه من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا الظاهر."[٦٥]

ج-قال أبو علي النيسابوري:" إن هذا الذي أعطينا، (لهو الفضل المبين) النمل١٦ الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا"[٦٦]، وقال السمعاني:" أي: الزيادة الظاهرة على جميع الخلق."

د-وقال أبو حيان الأندلسي:" إن هذا لهو الفضل المبين: إقرار بالنعمة وشكر لها ومحمدة."[٦٧]

هـ-وقال البقاعي:" (الفضل المبين) أي البين في نفسه لكل من ينظره، الموضح لعلو قدر صاحبه ووحدانية مفيضة مؤتيه."[٦٨]

و-جاء في التفسير القرآني للقرآن:" «وورث سليمان داود، وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين».

---

[٦٥] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه٨/٥٣٨٤

[٦٦] الوسيط في تفسير القرآن المجيد٣/٣٧٢، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ).

[٦٧] البحر المحيط في التفسير٨/٣١٨، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ).

[٦٨] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١٤/١٤١

النمل:١٦. ميراث سليمان لداود، هو وراثة الملك من بعده، دون إخوته.. ثم اختياره للنبوة، في قومه، كما كان أبوه نبيا فيهم.. فالملك وراثة، والنبوة اصطفاء، لا ميراث. وقد جمعهما الله سبحانه لسليمان، كما جمعهما لداود..

فتلقى سليمان من الله ما كان لداود من ملك ونبوة، وكان بهذا قد ورث أباه في كل ما كان له من ملك ونبوة.

وقوله تعالى: «وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين».. هو تحدث بنعمة الله عليه، واستعراض لهذه النعم التي أسبغها الله عليه، ليكون في ذلك داعية له إلى القيام بشكرها، ورعايتها حق الرعاية."[٦٩]

[٦٩] التفسير القرآني للقرآن١٠/٢٢٦، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

الفضل العظيم:

هو الفضل الذي يعم جميع الإفضال، "أي الذي لا يحصر بحد ولا يدخل تحت عد".[٧٠]ومن أعظم الفضل نصر المؤمنين وتمكينهم، وخذل أعدائهم. قال الله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وا لله ذو الفضل العظيم) الأنفال:٢٩[٧١] (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) أي يجعل بينكم وبين الكفار فرقانا بأن ينصركم ويعزكم ويخذلهم ويذلهم."[٧٢]

وقال الطيبي: (والله ذو الفضل العظيم): إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم، كقوله تعالى: (إن فضله كان عليك كبيراً) الإسراء: ٨٧. جعل إيتاء النبوة بعضاً من الفضل العظيم؛ لأن الفضل العظيم يعم جميع الأفضال، فقوله تعالى: (والله ذو الفضل العظيم) تذييل، أو لكون الكلام في النبوة دخلت فيه دخولاً أولياً."[٧٣]

---

[٧٠] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٢/٩٠، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[٧١] تفسير القرآن٤/٨٤، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ).

[٧٢] عراب القرآن٢/٩٥، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، .

[٧٣] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)٣/٣٠، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، (المتوفى: ٧٤٣ هـ)،

قال ابن الهائم في التبيان: "ذو الفضل العظيم أي: صاحب الثواب الكبير".[٧٤]،

وقال الألوسي:" والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا والآخرة"[٧٥]

قال تعالى: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) البقرة ١٠٥. هذا النص يثبت لنا عداوة اليهود والنصارى لعباد الله المؤمنين عداوة قلبية، وهي أشد وأنكى من العداوة القولية. وإن كان قد اجتمع في أهل الكتاب العداوات الثلاث، القلبية والقولية والفعلية، ولقد حكم الله عليهم بالكفر لجحدهم وسترهم ما من الله به عليهم من الحق والهدى والنعمة والعطاء وهذا اللؤم والخبث المتمكن من قلوبهم المغلفة ونفوسهم الملتوية جعلهم لا يحبون ولا يتمنون أي خير ينزل على عباد الله المؤمنين بل يكرهون ذلك ويبغضونه ولذا صدر هذا النص ب (ما) النافية. وقوله سبحانه (من خير) نكرة وردت في سياق النفي فتعم.

---

[٧٤] التبيان في تفسير غريب القرآن١/٨٨، المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم، (المتوفى: ٨١٥هـ).

[٧٥] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني١٤/٢٩٠، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (المتوفى: ١٢٧٠هـ).

وقال تعالى: (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) آل عمران ٧٣-٧٤.

وقد رد الله سبحانه عليهم مؤامراتهم الكاذبة وبين أن الهدى والفضل بيده سبحانه وأن الأمور كلها تحت تصرفه فيعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا رادَّ لما قضى، ولا مانع لما أعطى بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

يقول ابن كثير عند قوله تعالى: (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء)."أي الأمور كلها تحت تصرفه وهو المعطي المانع، يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام، ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته، ويختم على قلبه وسمعه، ويجعل على بصره غشاوة، وله الحجة التامة والحكمة البالغة"[٧٦]

[٧٦] التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه١/٧٩، المؤلف: أحمد بن عبد الله الزهراني، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأعداد ٨٥ - ١٠٠ السنوات ٢٢ - ٢٥ المحرم ١٤١٠ - ذو الحجة ١٤١٣ هـ.

فالفضل العظيم: هو فضل الله تعالى الذي أودع كل شيء خصائصه وصفاته ووظائفه واستعداداته. من الذرة إلى أكبر الأجرام، ومن الخلية إلى أعقد الأجسام، يتجلى الإحسان والإنعام. كل شيء في هذا الوجود مزود بخصائص تؤهله لأداء دروه من إنسان أو حيوان أو فَلَك سابح في الكائنات، متقن الصنع، بديع التكوين، باد فيه الإحسان والإتقان، وما منحه من التناسق والكمال. وها نحن نتملَّى آيات الإحسان والإتقان في كل ما نبصر ونسمع ونحس وندرك في رحلتنا على هذا الكوكب من جمال الصانع الحكيم فيما صنع وأباع ومنح."[٧٧]

[٧٧] التضمين النحوي في القرآن الكريم١/٢٨٨، المؤلف: محمد نديم فاضل، الناشر: دار الزمان، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

الفضل الكبير:

أ-الفضل الكبير: روضات الجنات للمؤمنين الطائعين، جزاء موافقاً لكسبهم قال الله تعالى:(ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير). الشورى:٢٢.

قال أبو جعفر النحاس: أي ترى الظالمين مشفقين من عقاب ما كسبوا. قال جل وعز: (وهو واقع بهم) أي العقاب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات)، قال مجاهد: الروضة المكان المونق الحسن. (ذلك هو الفضل الكبير) أي ذلك الذي تقدم ذكره للذين آمنوا."[٧٨]

ب-والفضل الكبير، الاصطفاء والقيادة والسيادة قال الله تعالى:(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير). فاطر:٣٢.

قال ابن كثير:" يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: (فمنهم ظالم لنفسه) وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. (ومنهم مقتصد) وهو: المؤدي

[٧٨] إعراب القرآن٤/٥٤، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ).

للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

ج- إذهاب الحزن قال الله تعالى:(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ الذي أحلنا دار المقامة من فضله): يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك. كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل".

(لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) أي: لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء. النصب واللغوب: كل منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد ينفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. فمن ذلك أنهم كانوا يدئبون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة مستمرة، قال الله تعالى: (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية)، الحاقة: ٢٤"[٧٩]،

[٧٩] تفسير القرآن العظيم٦/٥٤٦، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

فالفضل الكبير كما قال الله تعالى: ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها.

د-قال السيوطي: الفضل الكبير: النعمة التامة السابغة الشاملة العامة. وقال أيضاً: الفضل الكبير، الجنة مستدلا" عن الربيع بن أنس قال لما نزلت وما أدري ما يفعل بي ولا بكم نزل بعدها ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالوا يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً قال الفضل الكبير الجنة".".[٨٠]

هـ-الفضل الكبير: أي الذي لا أكبر منه، إذ لم يعطه أحداً قبلهم، فكل الأمم لم تختص بما خصت به هذه الأمة كما أن رسولها خص بأشياء لم تختص بها الأنبياء قبله، وأي فضل أعظم من هذا، لأن السابقين منهم يدخلون الجنة فور خروجهم من قبورهم، والمقتصدين بعد الحساب، والظالمين بعد العذاب."[٨١]

---

[٨٠] تفسير القرآن العظيم١٩٧/٧

[٨١] بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]١٢٩/٢، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ).

فائدة:

بين الفضل المبين والعظيم:

قال تعالى عنه: (علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين) النمل: من الآية ١٦ وقصة الهدهد , ورسالته به إلى بلقيس , وكلام النملة له ونحو هذا , قلنا: لا شك في أن هذا فضل مبين , وشرف متين , والفضل (بيده) تعالى يؤتيه من يشاء وهو ذو الفضل العظيم , فقد أخبر الله تعالى أن الفضل الذي آتاه سليمان – عليه السلام – مبين , وأخبر أن ما آتى محمد ﷺ من الفضل كان عظيماً كما قال تعالى: (وكان فضل الله عليك عظيماً)، النساء: من الآية ١١٣ فكان ما أوتي سليمان عليه (الصلاة و) السلام فضلاً مبيناً , وما أوتي محمد ﷺ فضلاً عظيماً والعظيم أبلغ وأكمل وأفضل من المبين , وليس منطق الطير والنملة بأعظم من منطق الذئب والغزال والضب والجمل والحمار وغير ذلك , بل ومنطق الجماد كحنين الجذع وتسليم الأحجار والأشجار وتسبيح الحصا والطعام في يده ﷺ وفي أيدي أصحابه كما تقدم , وتكليم ذراع الشاة المسمومة , وفهم هذه الأشياء."[٨٢]

[٨٢] «خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام» (مطبوع مع: منهج الإمام جمال الدين السُّرَمَرِّي في تقرير العقيدة)١/٤٦٦، المؤلف: جمال الدين السمري، م

المبحث السادس: حسن العهد وكرم الود

قبل أن نذكر فضيلة حسن العهد والود، نعرف العهد والودَّ.

العهد:" هو العهد: الوصية والتقدم إلى صاحبك بشيء"[٨٣] ففي حديثه ﷺ أنه دخلت عليه عجوز فسأل بها فأحفى السؤال وقال: إنها كانت تأتينا في زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان".[٨٤]

ووصف الثعلبي حسن العهد فقال: "هو من يثقل ميزان وده، ويحصف ميثاق عهده. يقال: فلان كريم العهد، صحيح العقد. سليم الصدر في الود، حميد الصدر فيه والود. هو لإخوانه عدة يشدهم ويقويهم، ونور يسعى بين أيديهم. هو ثابت ركن الإخاء، صافي شرب الوفاء. حافظ على الغيب ما يحفظه على اللقاء. هو من لا تدور المداهنة في عرصات قلبه، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره. فلان يسري إلى كرم العهد، في ضياء من الرشد. عهده نقش على صخر، ووده نسب ملآن من فخر. يقبل من إخوانه العفو، كما يوليهم من إحسانه الصفو. في وده غنى للطالب، وكفاية للراغب، ومراد للصحب، وزاد للركب. هو في حبل الوفاء حاطب، وعلى فرض الإخاء مواظب".[٨٥]

---

[٨٣] كتاب العين ١٠٢/١. المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)

[٨٤] غريب الحديث ١٣٧/٣ المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)

[٨٥] سحر البلاغة وسر البراعة٦٤/١، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، تحقيق: عبد السلام الحوفي.

حفظ الود: الوِداد اسم علم مؤنث عربي الأصل، ومعناه المحبة والرغبة والميل. قد يُقصد به أيضًا جمعُ الودّ أي الحُب.

والأخوة وحفظ الود القديم من الأخلاق السامية والإيمان الراسخ والمحبة الصادقة، وقال محمد المغازلي رحمه الله: (من أحب أن تدوم له المودة، فليحفظ مودة إخوانه القدماء)

ولبعضهم:

ما ذاقت النفس على شهوة ألذ من حب صديق أمين

من فاته ود أخ صالح فذلك المغبون حق اليقين[٨٦]

[٨٦] آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة١/٣٢ المؤلف: محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (المتوفى: ٩٨٤هـ)

المبحث السابع: من أخلاق أهل الوفاء الشكر

الشكر: ترجمان النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص، وعنوان الاختصاص. الشكر نسيم النعم، وهو السبب إلى الزيادة، والطريق إلى السعادة. الشكر قيد النعمة، ومفتاح المزيد، وثمن الجنة. من شكر قليلا استحق جزيلا. شكر المولى، هو الأولى. أشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على شكرك. الشكر قيد النعم وشكالها وعقالها، وهي مشبهة بالوحش التي لا تقيم مع الإيحاش، ولا تريم مع الإيناس. موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف، إن وجده لم يرم، وإن فقده لم يقم. الشكر غرس إذا أودع سمع الكريم أثمر الزيادة، وحفظ العادة، الشاكر يعرض المزيد البالغ والنعيم السابغ.."[٨٧]

وأخبر سبحانه عن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عبادة فقال عز وجل: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) الأنعام: الآية ٥٣.

وقسم الناس إلى شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله، قال تعالى: {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفوراً}، الإنسان: الآية ٣.

---

[٨٧] سحر البلاغة وسر البراعة١/٦٤

وقال تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)، إبراهيم: الآية: ٧.

فعلق سبحانه المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره.. وأطلق جزاء الشكر إطلاقا حيث ذكره كقوله تبارك وتع، الى: (وسنجزي الشاكرين)، آل عمران: من الآية ١٤٥.."[٨٨]

[٨٨] تزكية النفوس١/٨٨ المؤلف: أحمد فريد الناشر: دار العقيدة للتراث – الإسكندر سنة النشر: ١٤١٣.

المبحث الثامن: حفظ الوداد

قال كمال الدين أبو الفضل عبيد الله بن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء:

ومستحسنٌ حِفظ الوداد فراقبوا ... لأجل اقتناء الحمد نهديّ لا أجْلي

وقال آخر:

باق على حفظ الوداد وطالما ... أمسى بأيدي الحادثات مقسّماً

وقال آخر:

فإني على حفظ الوداد وحقكم ... مقيم، وما هجر الأحبة من شاني

وقال آخر:

ودوموا على حفظ الوداد فطالما ... بلينا بأقوام إذا استحفظوا خانوا"[٨٩]

قال الألوسي يصف الأولياء:[٩٠]

"لقد فاز قوم عاملوا الله بالإخلاص والصدق، وعاملوا الناس بخفض الجناح وحفظ الوداد مع اللين الرفق، تحملوا من أجله ألم الأذى والمشاق، فأزالوا

---

[٨٩] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ٢٥/٧، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر– بيروت – لبنان ص. ب ١٠، الطبعة: الأولى١٩٨٦

[٩٠] شهاب الدين السيد محمود أفندي المعروف بالشهاب الألوسي. ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧

بأنوار شهود جماله عن بصائرهم حجب العوائق الإنسانية، وتحملوا إذا أذاقهم الورى مر المراء والشقاق، فأماط بعذوبة أنسه ووصاله عن رقابهم ربق العلائق النفسانية، أعرضوا عن الدنيا وأغرضوا في طلب الأخرى حيث علموا بأن الأولى والأحرى السعي في تقديم الباقية على الفانية. فانحلوا الأجسام بالصيام والقيام، لما أن حلا لهم شرب صافي المدام ... فرضوا على نفوسهم القناعة والصبر، ورضوا عن هذه الدنيا بالقليل النزر. وراضوا زكي أنفسهم عن النفس جواهرها وأعراضها، ترفعوا عن الشكوى وتمسكوا بعرى التقوى، لأنها الركن الأوفى والسبب الأقوى، فانجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وأمراضها."

الفصل الثالث: جحود المعروف. وفيه مباحث:

المبحث الأول: نسيان المنعم

في قوله تعالى:(وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً قل كل يعمل على شاكلته..) الاسراء:٨٤.

قال الطاهر بن عاشور في التنوير: "والإعراض: الصد، وضد الإقبال، والجانب: الجنب. وهو الجهة من الجسد التي فيها اليد، وهما جانبان: يمين ويسار. والباء في قوله: بجانبه للمصاحبة، أي بعد مصاحباً لجانبه، أي مبعداً جانبه. والبعد بالجانب تمثيل الإجفال من الشيء، قال عنترة:

وكأنما ينأى بجانب دفها ال وحشي من هزج العشي مؤوم

فالمفاد من قوله: ونأى بجانبه صد عن العبادة والشكر. وهذا غير المفاد من معنى أعرض فليس تأكيداً له، فالمعنى: أعرض وتباعد، وحذف متعلق أعرض ونأى لدلالة المقام عليه من قوله: أنعمنا على الإنسان، أي أعرض عنا وأجفل منا، أي من عبادتنا وأمرنا ونهينا. وجملة وإذا مسه الشر كان يؤوساً، احتراس من أن يتوهم السامع من التقييد بقوله: وإذا أنعمنا أنه إذا زالت عنه النعمة صلح حاله فبين أن حاله ملازم لنكران الجميل في السراء والضراء، فإذا زالت النعمة عنه لم يقلع عن الشرك والكفر ويتب إلى الله ولكنه ييأس من الخير ويبقى حنقا ضيق الصدر لا يعرف كيف يتدارك أمره.

ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله في سورة فصلت: ٥١ (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض)، ودل قوله: كان يؤوسا على قوة يأسه إذ صيغ له مثال المبالغة. وأقحم معه فعل "كان" الدال على رسوخ الفعل، تعجيبا من حاله في وقت مس الضر إياه لأن حالة الضر أدعى إلى الفكرة في وسائل دفعه، بخلاف حالة الإعراض في وقت النعمة فإنها حالة لا يستغرب فيها الازدهاء لما هو فيه من النعمة."[٩١]

[٩١] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»١٥/١٩٣،

المبحث الثاني: حكاية عن المنافقين في "إنكار النعم"

في قوله تعالى:(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير). التوبة:٧٤.

قال في التفسير الحديث في الآية:

١- حكاية لما كان المنافقون يحلفون عليه بالله من كونهم لم يقولوا ما نسب إليهم من الأقوال الخبيثة الدالة على كفرهم وعدم إخلاصهم.

٢- وتكذيب رباني لهم بتوكيد كونهم قد قالوا ما به الكفر وكفروا بعد إيمانهم. وزادوا على ذلك فحاولوا محاولات عدوان أحبطها الله فلم ينالوا منها مأربا.

٣- وتقرير كون مواقفهم الخبيثة الجاحدة ناشئة من طبيعة نكران الجميل والحسد المجبولة عليها نفوسهم. إذ لم يكن موجب لنقمتهم وغيظهم إلا ما عاد عليهم من الخير والنفع والفضل من الله ورسوله مما يستوجب الشكر بدل النقمة والكفر."[٩٢]

وقال الله تعالى:(ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار) ايراهيم:٢٨

---

[٩٢] التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]٤٥٨/٩ المؤلف: محمد عزة دروزة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

المبحث الثالث: الإخلاص في إسداء المعروف

في قوله تعالى:(وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) البقرة:٢٧٢

فالحق سبحانه وتعالى يعالج في هذه القضية (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) أي إياكم أن تظنوا أنني أطلب منكم أن تعطوا غيركم، لقد طلبت منكم أن تنفقوا لأزيدكم أنا في النفقة والعطاء، ثم يقول: (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) ومعنى التوفية: الأداء الكامل.

ولا تظنوا أنكم تنفقون على من ينكر معروفكم؛ لأن ما أنفقتم من خير فالله به عليم. إذن فاجعل نفقتك عند من يجحد، ولا تجعل نفقتك عند من يحمد، لأنك بذلك قد أخذت جزاءك ممن يحمدك وليس لدى الله جزاء لك.

قال الشعراوي رحمه الله تعالى: "كنت أقول دائماً للذين يشكون من الناس نكران الجميل ونسيان المعروف: أنتم المستحقون لذلك؛ لأنكم جعلتموهم في بالكم ساعة أنفقتم عليهم، ولو جعلتم الله في بالكم لما حدث ذلك منهم أبداً، (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) أهذه الآية تزكية لعمل المؤمنين، أم خبر أريد به الأمر؟ إنها الاثنان معا، فهي تعني أنفقوا ابتغاء وجه الله. (وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) أنتم لا تظلمون من الخلق، ولا تظلمون من الخالق، أما من الخلق

فقد استبرأتم دينكم وعرضكم حين أديتم بعض حقوق الله في أموالكم، فلن يعتدي أحد عليكم ليقول ما يقول، وأما عند الله فهو سبحانه يوفي الخير أضعاف أضعاف ما أنفقتم فيه."[٩٣]

وقال في تعليقه على قوله تعالى:(فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) المؤمنون: ٢٨:

"استويت" يعني: استعليت وركبت أنت ومن معك على الفلك واطمأن قلبك إلى نجاة المؤمنين معك (فقل الحمد لله) فلا بد للمؤمن أن يستقبل نعم الله عليه بالحمد، وبألا تنسيه النعمة جلال المنعم، فساعة أن يستتب لك الأمر على الفلك وتطمئن بادر بحمد الله.

وفي موضع آخر يقول سبحانه: (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قآئما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يونس: ١٢، وكأن الحق – تبارك وتعالى – يعطينا حصانة، ويجعل لنا أسوة بذاته سبحانه، حتى إذا ما تعرضنا لنكران الجميل ممن أحسنا إليه لا نغضب؛ لأن الناس ينكرون الجميل حتى مع الله عز وجل، لذلك لما قال موسى – عليه السلام – يا رب أسألك ألا يقال

[٩٣] تفسير الشعراوي – الخواطر٢/١١٧٧، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠، وانظر تفسير الشعراوي:١٦/١٠٠١٨.

فيما ليس في. يعني: لا يتهمني الناس ظلماً، فرد عليه ربه عز وجل: «يا موسى، كيف ولم أصنع ذلك لنفسي».

إذن: فهذه مسألة لا يطمع فيها أحد، ولو أن كل فاعل للجميل يضن به على الناس لأنهم ينكرونه لفسد الحال، وتوقفت المصالح بين الخلق، وضن أهل الخير بخيرهم؛ لذلك وضع لنا ربنا – عز وجل – الأسوة بنفسه سبحانه."

المبحث الرابع: صور من بلاغة القرآن

"نكران جميل نعم الله تعالى"

في قوله تعالى: (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار). إبراهيم: ٣٤ وقوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم). النحل:١٧-١٨

من بلاغة القرآن:

"المتأمل يجد سر هذا الاختلاف، أن القرآن راعى مرة موقف الإنسان من نعم الله، فهو ظلوم كفار، وأخرى مقابلة الله سبحانه نكران الجميل والظلم والكفر بالنعم، بالغفران والرحمة، وكان ختام الآية الأولى بما ختمت به، لأنها كانت في معرض صلة الإنسان بالله، وكانت الثانية في معرض الحديث عن الله، فناسب ختم الآية بذكر صفاته".[٩٤]

(إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد) العاديات:٦ نقل فيها الفراء في (معاني القرآن): قال الكلبي، وزعم أنها لغة في كندة وحضرموت: لكنود: لكفور بالنعمة. وقال الحسن: لوام لربه المسيئات وينسى النعم".[٩٥]

---

[٩٤] من بلاغة القرآن١/٧١ ظ، المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، الناشر: نهضه مصر – القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥

[٩٥] معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٨٥)

وتأويلها في المسألة، رواه الطبري، والقرطبي وأبو حيان، عن ابن عباس وغيره، ورووا فيه حديث أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ : قال: (الكنود هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده) وعن ابن عباس مرفوعا بلفظ: (من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده) – أخرجهما الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وعن ابن عباس أيضاً أنه قال: الكنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكفور: وبلسان كنانة: " البخيل السيء الملكة (الطبري، والزمخشري، والقرطبي، وأبو حيان) والمعاني متقاربة، وفي (مفردات الراغب) أنه الكفران بنعمة الله، والأرجح أنها ترجع إلى الأرض الكنود: تعصي على الزرع فلا تنبت، فهي عاصية وبخيلة، ثم كثر استعماله في الكافر بالنعمة، لا يؤدى حقها، وذلك أسوأ البخل. وقريب منه: الجحود بمعنى نكران الجميل والمعروف.

وأقرب معانيها إلى آية العاديات، أنه الجحود والكفران بنعمته تعالى، والله أعلم."[٩٦]

[٩٦] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ٤٣٧/١، المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة.

المبحث الخامس: نكران الجميل "بكفران العشير"

جاء في الحديث لشريف" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "أريت النار، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن قيل أيكفرن بالله؟ قال: " يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط ".[٩٧]

معنى الحديث: مر النبي ﷺ على النساء يوم العيد فأراد أن ينتهز فرصة وجوده بينهن في نصحهن ووعظهن وتحذيرهن عن بعض المساوئ التي يغلب صدورها منهن، فكان أول ما بدأ حديثه أن " قال رسول الله ﷺ أريت النار " أي أطلعني الله تعالى على النار وكشف لي عنها، فرأيتها ببصري رأي العين " فإذا أكثر أهلها النساء " أي فلما نظرت إليها، وشاهدت من فيها من البشر، فوجئت بأن أكثر أهلها النساء، " يكفرن " أي فلما ذكر ﷺ أن أكثر أهل النار من النساء، قالت إحداهن: ولم يا رسول الله؟ فأجابها ﷺ بقوله " يكفرن " أي إنما كن أكثر أهل النار لأنهن يكفرن، ولم يبين ﷺ يكفرن بماذا لتذهب أفكارهن كل مذهب، ويشتد خوفهن، وتتطلع نفوسهن لمعرفة هذا الكفر الذي وصفهن به النبي ﷺ وقد تم للنبي ﷺ ما أراد، فلم يكد ينطق بهذه الكلمة حتى " قيل أيكفرن بالله " أي قالت إحداهن أيكفرن بالله؟ " قال: يكفرن العشير " أي ينكرن نعمة الزوج وإحسانه إليهن " لو أحسنت إلى إحداهن الدهر " أي العمر كله " ثم

[٩٧] أخرجه البخاري برقم (٢٦).

رأت منك شيئاً " واحداً مما تكره " قالت: ما رأيت منك خيراً قط " أي ما وجدت منك شيئاً ينفعني أو يسرني طيلة حياتي كلها، ويستفاد منه ما يأتي:

أولا: أن نكران الجميل من الكبائر كما أفاده النووي، ولولا ذلك لما ترتب عليه هذا الوعيد الشديد، وورد في الخبر " إذا قالت المرأة لزوجها ما رأيت منك خيراً قط فقد حبط عملها."

ثانيا: أن هناك كفراً دون كفر، ومعناه أن الكفر نوعان، كفر يخرج عن الملة، وهو الكفر الاعتقادي، وكفر لا يخرج وهو العملي كجحود نعمة الزوج مثلاً.

ثالثا: ما جبل عليه أغلب النساء من كفران العشير وجحود نعمة الزوج، ومن أغرب ما روي في ذلك قصة المعتمد بن عباد مع زوجته، فقد روي أنه لما تزوج البرمكية قضى معها حيناً من الدهر في سرور وغبطة، وحدث أن رأت بعض النساء يمشين في الطين فاشتهت ذلك، فأمر المعتمد فسحقت الطيوب. أي فطحنت أنواع الطيب من العود ونحوه، وذرت في ساحة القصر وصب عليها ماء الورد حتى صارت كالطين، فخاضته مع جواريها. ومرت الأيام فغاضبها المعتمد يوما، فأقسمت أنها لم تر منه خيرا قط، فقال لها: ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت، والمطابقة: في كون الحديث يدل

على أن الكفر أنواع منها الكفر بالله ومنها كفر العشير كما صرح بذلك الحديث".[٩٨]

[٩٨] منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري١/١١٣، المؤلف: حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

المبحث السادس: الآيات الواردة في «نكران الجميل»

١- (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار)، إبراهيم: ٢٨

٢- (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون، ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) النحل: ٨٣-٧٨

٣- (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون، فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون)، النحل: ١١٢- ١١٤

٤- (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم)، النمل: ٤٠.

المبحث السابع: الأحاديث الواردة في ذم (نكران الجميل)

١-" عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: قال النبي ﷺ: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط".[٩٩]

٢-"عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ:«أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، قال: فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ: وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)، الواقعة:٧٥- ٨٢"[١٠٠] .

٣-عن رافع بن خديج- رضي الله عنه- أنه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك. فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبي د بين عيينة والأقرع

فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع

---

[٩٩] أخرجه البخاري برقم (٢٩) واللفظ له. ومسلم برقم (٩٠٧).

[١٠٠] أخرجه مسلم برقم (٧٣).

وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

فأتم له رسول الله ﷺ مائة".[١٠١]

٤-"عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: أمر رسول الله ﷺ بالصدقة فقيل: منع ابن جميل، وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ : «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله، وأما خالد، فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب، فعم رسول الله ﷺ فهي عليه صدقة، ومثلها معها".[١٠٢]

٥- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن أعرابياً أهدى إلى رسول الله ﷺ بكرة فعوضه منها ست بكرات فتسخط فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن فلانا أهدى إلي ناقة فعوضته منها ست بكرات فظل ساخطا، لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي"[١٠٣].

٦-عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا.

---

[١٠١] أخرجه مسلم برقم (١٠٦٠)

[١٠٢] أخرجه البخاري-برقم (١٤٦٨).

[١٠٣] أخرجه الترمذي (٣٩٤٦)، وقال: هذا حديث حسن. وأحمد (٢/ ٢٩٢). وذكره في المشكاة

(٢/ ٩١٠) واللفظ له. وعزاه كذلك للنسائي.

فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه قذره. وأعطي لونا حسنا، وجلداً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل (أو قال البقر. شك إسحاق) إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، قال: فأعطي ناقة عشراء قال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرة حاملاً فقال: بارك الله لك فيها. قال فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. قال فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل. ولهذا واد من البقر. ولهذا واد من الغنم. قال ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين. قد انقطعت بي الحبال في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك، بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال؛ بعيرا أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك. ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا، فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا. ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله

إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك، بالذي رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت. ودع ما شئت. فو الله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله. فقال: أمسك مالك. فإنما ابتليتم. فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك"[١٠٤].

٧-"عن فضالة بن عبيد- رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من العواقر: إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خيرا دفنه، وإن رأى شرا أذاعه، وامرأة إن حضرت آذتك، وإن غبت عنها خانتك".[١٠٥]

٨-"عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر

---

[١٠٤] أخرجه البخاري- برقم (٣٤٦٤). ومسلم برقم (٢٩٦٤) واللفظ له.

[١٠٥] ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٨) وقال: رواه الطبراني بإسناد لا بأس به. وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٨) واللفظ له. وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن عصام ذكره ابن أبي حاتم ولم يخرجه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات.

ليقتطع بها مال امرئ مسلم، ورجل منع فضل ماء فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك".[١٠٦]

٩-"عن أبي سعيد- رضي الله عنه- أنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو في فطر إلى المصلى فمر على النساء، فقال: «يا معشر النساء، تصدقن، فإني أريتكن أكثر أهل النار»، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان دينها".[١٠٧]

١٠-"عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ "خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابرا، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه، كتبه الله

---

[١٠٦] أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٦) واللفظ له. ومسلم برقم (١٠٨).

[١٠٧] أخرجه البخاري برقم (٣٠٤) واللفظ له. ومسلم برقم (٨٨٥) معناه من حديث جابر- رضي الله عنه-.

شاكراً صابراً، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من فوقه فأسف على ما فاته منه، لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً"[١٠٨]

من مضار (نكران الجميل)

(١) دليل على ضعف الإيمان وسوء الأخلاق ولؤم الطبع.

(٢) من أسباب زوال النعمة بعد حصولها.

(٣) يسبب غضب الرب وإعراض الخلق.

(٤) يجلب الشقاء ونكد البال وسوء الحال"[١٠٩]

لكي تبقى دافعية الإحسان قائمة بين الناس، فإن البشر يؤثر فيهم المكافأة على إحسانهم، ومن صور المكافأة المقابلة بالمثل، أو الدعاء لصاحب المعروف، أو الثناء على فعله: «ومن لم يجد فليثن؛ فإن من أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر» (٢)، ومقابلة إحسان الناس ببرود ولا مبالاة يقتل فيهم المبادرة للإحسان، ويضعف عندهم التفكير في الآخرين، ويقتل المروءة

---

[١٠٨] أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٢) وقال: حسن غريب وبعضه في مسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-. وابن ماجة، (٤١٤٢). وذكره في المشكاة وعزاه إلى الترمذي وسكت عنه الألباني (٣/ ١٤٤٦برقم (٥٢٥٦).

[١٠٩] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم٥١٦/١٣

والنجدة والنخوة، ويفشي السلبية والأثرة؛ لأن من طبيعة الإنسان أن تقوى اندفاعته بالشكر، وإن كان الأصل فيه ألا يبتغي شكرا ولا جزاء.[١١٠]

[١١٠] هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا١١/٥٦٥٤، المؤلف: أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

المبحث الثامن: الاعتراف بفضل أهل العلم

"من معاني الاعتراف بالحق والإذعان له:

إن من مفردات خُلق الاعتراف بالحق والإذعان له، الاعتراف بالفضل لذوي الفضل أياً كانوا، وإن إنكار فضل ذي الفضل، كإنكار عِلْمِ ذي العلم، وإنكار حق ذي الحق، يدل على صفة أخلاقية ذميمة في الإنسان، "وأكثر خسةً وأعظم لؤماً وانحرافاً خلقياً من يجحد فضل أبويه عليه، ولا يذعن له، ولا يقوم بما عليه من حق لهما.

وأقبح من ذلك من يجحد رسالة رسل الله، ولا يعترف بها، ولا يذعن لها، مع ظهور الأدلة ووضوح البراهين!! ولهذا الجنوح الخلقيّ وإن حب الحق وإيثاره يتوافر في الناس بدرجات متفاوتة، كما أن عدم توافره في الناس درجات متفاوتة، وإن الحق الذي يجب حبه وإيثاره والاعتراف به درجات، وأعلى درجاته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم من بعدها لوازم هذه الشهادة، بمختلف درجات تلك اللوازم في باب الحق، ثم يلي ذلك في الرتبة -تعبيراً عن هذا الأصل من أصول الأخلاق- بقية فروع هذا الأصل ومظاهره المتفاوتة الدرجات، إن الإحسان إلى من يستحق الإحسان."[١١١]

[١١١] الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها١/٨٢، المؤلف: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير.

قال النووي في الأذكار:" يُستحبُّ للعالم إذا سئل عن شيء ويعرف أن غيره أعلم منه أن يرشد إليه السائل، فإن الدين النصيحة، ويتضمن مع ذلك الانصاف والاعتراف بالفضل لأهله، والتواضع."[١١٢] وذكر صاحب موارد الظمآن من أسباب الغيبة:" أن ينطوي على عداوة شخص ويحسده فيرميه بمساوئ ومعائب ينسبها إليه ليصرف وجوه الناس عنه ويسقط مهابته ومكانته من النفوس ويقصد بذلك إثبات فضل نفسه ولكن العاقل اللبيب يعرف أنه ما أضر على الأعداء ولا أشد من التمسك بالأخلاق الفاضلة والاعتراف بالفضل لأهله كما قيل:

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى يد النقص عنه بانتقاص الأفاضل"[١١٣]

---

[١١٢] الأذكار ٣١٤/١، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

[١١٣] موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان ٣٨٢/١، المؤلف: عبد العزيز بن، محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤ هـ

الخاتمة

الاعتراف بالفضل والمعروف لأهله هو الشكر لهم والثناء عليهم، لقوله ﷺ: "من صُنع إليه معروف فليجزه، فإن لم يجد ما يجزه فليثنِ عليه فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره وإن كتمه فقد كفره –جحده – ومن تحلى بما لم يعط، فكأنما لبس ثوبي زور "[١١٤].

فيتوجب على العاقل أن يدرك:

– قبح الجحود واللؤم.

– مكافأة المحسن نوع من الوفاء، وصورة من الشكر لله.

– من صور مكافأة المحسن:

– الشكر اللساني على قليل الإحسان وكثيره.

– مقابلة الإحسان بالإحسان.

– الدعاء للمحسن.

– الثناء على المحسن.

– التهادي.

---

[١١٤] حديث صحيح، انظر الأدب المفرد رقم (٢١٥). بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، باب من لم يشكر الناس، ص ٣٤.

- الوفاء بالحقوق.

- جزاء المحسن في الدنيا.

- من حق المحسن التغاضي عن إساءته.

- المكافأة بالشر مستقبحة حتى مع البهائم.

- الثابت على الإحسان إلى المسيء ينصره الله.

- أسمى صور المكافأة الإحسان إلى المسيء.[١١٥]

فائدة:

أختم البحث بقصة هادفة على خلْق من خلق الله لا يعرفون حقداً ولا رذيلة، ساقها أحد أهل البيان عل لسان الحيوانات ولعلها تكون أبلغ في التأثير والاعتبار.

جاء في كتاب الأدب المقارن في مقررات جامعة المدينة العالمية:

" جلس الدُّب تحت شجرة يشحذ أسنانه، فسأله الثعلب: لِمَ تجعل أنيابك حادة على هذا النحو إذا لم يكن هناك صياد يتعقبك ولا خطر يتهددك؟

[١١٥] هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا ٤٩٦/١، المؤلف: أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

فأجاب الدب: عندي مسوغ هام لذلك، هو أنه إذا ما تهددني الخطر فلن يكون عندي الوقت لشحذها، بل عليها أن تكون مستعدةً للعمل.

جرى الفأر مسرعًا فوق جسم الأسد وهو نائم، فهبَّ من نومه غاضبًا وأمسك به يريد أن يلتهمه، غير أن الفأر توسل إليه أن يتركه، واعدًا أن يرد الجميل يومًا ما، فضحك الأسد من وعده وتركه لحال سبيله، ومرت الأيام إلى أن جاء يوم وقع فيه الأسد في حبائل الصيادين الذين ربطوه في شجرة بالحبال، وذهبوا لتناولوا الطعام، وسمع الفأر زمجرةَ الأسد، فذهب إليه مسرعًا، وراح يقرض الحبل بأسنانه، ويقول: لقد سخرت مني ذلك اليوم عندما وعدتك برد الجميل؛ لأنك لم تتوقع أن أرد لك كرمك، وهأنذا أفعل الآن، ولعلك تدرك أنه حتى الفئران تقدر على الاعتراف بالجميل."

المحتويات

المبحث الأول: الاعتراف بالفضل ١٥
الاعتراف بالفضل اصطلاحاً: ١٦
الاعتراف بالفضل في القرآن الكريم: ١٦
منزلة الاعتراف بالفضل: ١٧
المبحث الثاني: نكران الجميل ١٩
تعريف نكران الجميل لغة: ١٩
الجميل لغة: ١٩
نكران الجميل اصطلاحاً: ١٩
أسباب كفران النعم وجحودها: ٢٠
المبحث الثالث: نسيان مودة صاحب الفضل ٢٣
المبحث الرابع: الوالدان منبع الفضل والإحسان ٢٧
المبحث الخامس: الزوجة صاحبة فضل ٢٩
المبحث السادس: الزوج صاحب فضل ٣١
المبحث السابع: الإخوة أصحاب فضل ٣٣
المبحث الثامن الصاحب له فضل ٣٤
الفصل الثاني ٣٦
المبحث الأول: تعريف الفضل لغة واصطلاحاً ٣٦

الفضل في اللغة: ٣٦
الفضل اصطلاحاً: ٣٦
المبحث الثاني: من معاني الفضل في القرآن الكريم ٣٧
المبحث الرابع: في قوله تعالى: (ولاتنسوا الفضل بينكم) ٤١
المبحث خامس: أنواع الفضل في القرآن الكريم ٤٥
الفضل المبين: ٤٥
الفضل العظيم: ٤٨
الفضل الكبير: ٥٢
الفضل المبين والعظيم: ٥٥
المبحث السادس: حسن العهد وكرم الود ٥٦
المبحث السابع: من أخلاق أهل الوفاء الشكر ٥٨
المبحث الثامن: حفظ الوداد ٦٠
الفصل الثالث: جحود المعروف. وفيه مباحث: ٦٢
المبحث الأول: نسيان المنعم ٦٢
المبحث الثاني: حكاية عن المنافقين في "إنكار النعم" ٦٤
المبحث الرابع: صور من بلاغة القرآن ٦٨
"نكران جميل نعم الله تعالى" ٦٨
المبحث الخامس: نكران الجميل "بكفران العشير" ٧٠

المبحث السادس: الآيات الواردة في «نكران الجميل» ٧٣
المبحث السابع: الأحاديث الواردة في ذم (نكران الجميل).....٧٥
من مضار (نكران الجميل) ٨٠
المبحث الثامن: الاعتراف بفضل أهل العلم.....٨٢